جمع القرآن

— ٤ —

جمع القرآن بمعنى كتابته

تقدم أن جمع القرآن بمعنى كتابته ثلاثه أنواع ؛ وإليك تفصيل كل منها :

١ — جمع القرآن بمعنى كتابته فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم :

عناية النبى صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن وترغيب الصحابة رضوان الله عليهم فى حفظه ـ أوفت على الغاية وبلغت المنتهى ؛ ضرورة أنه نبى أمى ، بعث فى قوم أميين ، جل اعتمادهم على الحفظ، حتى لتشهد ذلك جليا فى أشعارهم وخطبهم التى هى محل مفاخرهم، ولأن أدوات الكتابة عندهم ليست ميسورة لكونهم فى عصر البداوة ، ومن ثم انصرفوا إلى حفظ التنزيل وتسابقوا فى ذلك .

ومع صعوبة الكتابة وأدواتها لم تنصرف همة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحفظ فحسب، بل اهتم بشأن الكتابة وشجع على تعليمها ، وبهذا التشجيع جد الصحابة رضى الله عنهم فى تعلم القراءة والكتابة حتى مهر منهم الكثير بمكة والمدينة على قرب عهدهم بالبداوة وقلة وسائل الكتابة. ولما توجهت همة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كتابة القرآن الكريم ليعاضد المحفوظ المنقوش ويقوى المقروء المكتوب، اتخذ كتابا لكتابة القرآن الكريم ممن برعوا فى فن الكتابة ووضع فيهم ثقته لأنهم مع حذقهم الكتابة جمعوا فضائل الكاتب من الأمانة والضبط وإرهاف السمع ووعى القلب؛ وناهيك باختيار النبى صلى الله عليه وسلم إياهم كتابا للقرآن الكريم ونيلهم هذا الشرف العظيم .

هؤلاء الكتاب كتبوا آيات التنزيل كما أملاها عليهم الرسول صلوات الله

وسلامه عليه، فقد كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فيقول لهم: ضعوا هؤلاء الآيات فى موضع كذا من سورة كذا . وكانت كتابة ما نزل من القرآن ملتزمة منهم حتى زمن الاختفاء فى أول الاسلام ؛ إذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف فى البيوت ، وكان المشركون يدعون الدراسة إذ ذاك: الهينمة . ومن شواهد ذلك حديث عمر قبل إسلامه مع أخته وختنه ، وسيأتى .

وكانت العرب تكتب كل شىء نفيس أو مهم عندهم كالأشعار الفصيحة والخطب البليغة، ومن شواهد ذلك القصائد المعلقة، والصحيفة التى أكلتها الأرضة ، ولزيادة التوثق كان الكتاب يعرضون المكتوب على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الكتابة المرة بعد المرة، لأنه الكتاب الخالد الذى ترجع إليه أجيال الناس فى دينهم وأقضيتهم ، ولم يقتصر أمر كتابة القرآن على الكتاب الذين كان يملى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، بل كان بعض الصحابة يكتب ما حفظه أو بلغه فى صحف أو مصحف بحسب ما تيسر له . وبالجملة لم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن محفوظ فى الصدور من كثير من الصحابة، مكتوب فى السطور ، مرتب الآيات فى السور حسب إرشاد جبريل للنبى الأمين عليهما أفضل الصلاة والسلام .

وقد حرص الصحابة على القطع المكتوبة ، وكانت أغلى عليهم من أنفسهم ، وأنفس عندهم من كل نفيس ، وأحب إليهم من كل حبيب جليس؛ والصحابة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوه لم يكونوا قد جمعوه بين الدفتين، ولم يلتزموا توالى سوره ؛ وذلك لأن الواحد منهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ، ثم خرج فى سرية أو غزوة أو غاب فى شأن من الشئون ونزل وقت غيبته شىء من القرآن ثم رجع أخذ بعد رجوعه فى حفظ ما نزل وقت مغيبه وكتابته ، وتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه . وكان منهم من يعتمد على حفظه فلا

يكتب ، على ما كان من عادة العرب فى حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة منهم، وبعضهم كان يكتبه فى أدوات مختلفة من قرطاس وكتف وعسب، ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين فى حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه ، وبعضهم كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة ، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد .

وصفوة القول : أن القرآن كتب كله فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحفظه أصحابه رضى الله عنهم سوراً وآيات وكلمات وحروفا مع الضبط والاتقان، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وهو محفوظ فى الصدور مكتوب فى السطور ، وتركهم أمة واحدة ، على دين واحد ، وكتاب واحد .

الروايات فى كتابة القرآن

فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد فى كتابة القرآن فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام روايات كثيرة ؛ أكتفى منها بما يأتى :

١ — روى البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : «أرسل إلى أبو بكر رضى الله عنه مقتل أهل اليمامة قال : إنك كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع القرآن فتتبعت » الحديث ، وسيأتى بطوله فى جمع أبى بكر رضى الله عنه .

٢ — وروى البخارى عن البراء قال « لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » قال النبى صلى الله عليه وسلم : ادع فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال : اكتب « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم، فقال: يارسول الله أنا ضرير،

فنزلت مكانها « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله » وروى البخارى من طرق أخرى عن البراء ما يبين أن الكاتب الذى أبهم هنا هو زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٣ — وروى أحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شىء دعا بعض من يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » الحديث .

٤ — أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع» الحديث . قال البيهقى: يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها فيها باشارة من النبى صلى الله عليه وسلم اهـ . وفى مسند أحمد: حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب ، أن عبد الرحمن بن شماسة أخبره أن زيد بن ثابت قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: طوبى للشام. قيل: ولم ذلك يارسول الله؟قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه .

٥ — وروى البيهقى بسند حسن عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم فكان يكتب له إلى الملوك ، فبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب ويختم ولا يقرؤه ، ثم استكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحى ويكتب إلى الملوك، وكان إذا غاب كتب جعفر بن أبى طالب.

وفى الاصابة: أخرج البغوى من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله

ابن الأرقم بن عبد يغوث ، وكان يجيب عنه الملوك، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرؤه لأمانته عنده. واستكتب أيضاً زيد بن ثابت وكان يكتب الوحى ،وكان إذا غاب بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أحد، أمر من حضر أن يكتب ، فمن هؤلاء : عمر ، وعلى وخالد بن سعيد ، والمغيرة ، ومعاوية اهـ .

٦ — وروى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » ورواه ابن أبى داود فى كتاب المصاحف بلفظه « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئاً سوى القرآن فليمحه » اهـ . وهذا الحديث يدل بمفهومه على أن القرآن كان يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما نهى عن كتابة غيره أول الأمر خوف اختلاطه بالقرآن ثم أذن فى كتابة غير القرآن بعد ذلك كما ثبت فى أحاديث صحيحة كثيرة .

٧— وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية « ألق الدواة ، وحرف القلم، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ومد الرحمن، وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فأنه أذكر لك » .

٨ — وروى ابن الأثير فى أسد الغابة عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا نعم . فذكر لنا قصة دخوله على أخته فاطمة بنت الخطاب ، وقد بلغه إسلامها مع زوجها سعيد بن زيد ، وضربه إياها ، ثم قال : ودخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير ، ونظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت وقلت هذا الكتاب أعطينيه . فقالت لا أعطيك لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون . قال: فلم أزل بها حتى أعطتنيه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى ، ثم رجعت إلى نفسى فاذا فيها « سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع إلي نفسى حتى بلغت « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » حتى بلغت إلى قوله تعالى « إن كنتم مؤمنين » . قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الحديث . وفيه دلالة على أنهم كانوا يكتبون القرآن .

٩ — وروى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو .

وهذا الحديث يدل على أن القرآن كان مكتوبا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلا فكيف ينهى عن أمر لا وجود له .

١٠ — وقال البغوى فى شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها لرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات اه .

ولعله لذلك اعتمد عليه أبو بكر ، وعمر ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

كل هذه الروايات تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم اهتم بكتابة القرآن واتخذ له كتاباً لهذا الغرض ، وأن القرآن كتب كله فى عهده وحضرته ، بمكة والمدينة ، بكل إتقان وضبط ؟

فريد العبادى
المدرس بالأزهر